

مؤسسة القديس أنطونيوس

مركز دراسات الآباء

نصوص الآباء

(جزء من 39)

رسالة 55 جزء من رسائل القديس كيرلس

شرح قانون الإيمان

القديس كيرلس الأسكندري

من مقدمة الجزء الرابع

لرسائل القديس كيرلس الأسكندري

مقدمة عن رسالة 55

في شرح قانون الإيمان

رسالة 55 رسالة طويلة يشرح فيها القديس كيرلس قانون الإيمان نيقيا والقسطنطينية بتفصيل، وهي أطول رسائل القديس كيرلس على الإطلاق. وبسبب محتواها اللاهوتي الهام في شرح قانون الإيمان رأينا أن ننشرها بمفردها منفصلة في كتيب خاص بالإضافة إلى نشرها ضمن هذه الرسائل في الجزء الرابع. ونشير هنا أنه قد سبق لمركز دراسات الآباء أن نشر تعريباً لنفس هذه الرسالة بعنوان "شرح قانون الإيمان للقديس كيرلس الكبير" سنة 1984م وكان قد قام بتعريبها حينئذ وكتابة مقدمة لها دكتور جورج حبيب بياوي.

أما الترجمة الحالية لهذه الرسالة رقم 55 فهي عن اللغة اليونانية مثلها مثل بقية الرسائل.

ملاحظات على الرسالة رقم 55:

أ- يؤكد القديس كيرلس في بداية الرسالة على أهمية إستقامة الإيمان وضرورة تلازمه مع أعمال الفضائل. ويعلق على عبارة معلمنا يعقوب: "الإيمان بدون أعمال ميت" قائلاً: "هكذا نحن نقول إن العكس صحيح، لذلك فليقتزن الإيمان الذي بلا عيب وليشرق مع أمجاد الحياة المستقيمة" (أنظر فقرة 2).

ب- يؤكد القديس كيرلس عندما يتحدث عن آباء مجمع نيقيا المسكوني الأول الذين حددوا إعتراف الإيمان المكرم والمسكوني، أن المسيح نفسه كان جالساً معهم في المجمع⁽¹⁾. ... وأن المسيح كان بلا شك يرأس ذلك المجمع المقدس بطريقة غير منظورة (أنظر فقرة 4، 5).

(1) أنظر السنكسار القبطي يوم 9 هاتور: "اجتماع مجمع نيقية المسكوني" حيث يذكر [أن كثيرين من الذين إستضاءت عقولهم بنعمة الروح القدس كانوا يعدون المجتمعين فيجدونهم 319 أسقفاً، وإذا عدوا الكراسي المنظورة مجدونها 318. وبذلك تم قول السيد المسيح "إذا اجتمع أنثان أو ثلاثة باسمي فهناك اكون في وسطهم" (مت 18 : 20)].

ج- يؤكد القديس كيرلس على أهمية التسليم (التقليد) من جهة الإيمان ويقول: "إن الكرازة المقدسة التي سلمها إلينا بالروح القدس أولئك الذين كانوا من البدء معانين وخداماً للكلمة، هؤلاء كان آباؤنا الممجدون جداً يتبعون آثار خطواتهم بغيرة، وهؤلاء كان الآباء هم الذين اجتمعوا في نيقيا وحددوا إقرار الإيمان المكرم (فقرة 4). ويواصل قائلاً: "فالآباء القديسون الذين جاءوا بعد آباء نيقيا وكان للشعب وأنوار للكنائس ومعلمين مهرة جداً للأسرار، هؤلاء قد حفظوا بدون نقص الإيمان الموضوع والمحدد من آباء نيقيا" (فقرة 6). ثم بعد ذلك يؤكد أهمية اتباع الآباء واستمرار التسليم الرسولي على الدوام قائلاً: "نحن نتبع من كل وجه إقرارات الآباء القديسين وتعاليمهم، ونحن نثبت بإستقامة وبدون إنحراف ما قالوه، وإن الجمع المقدس الذي اجتمع في أفسس... حينما أصدر قراراً مقدساً ودقيقاً ضد التعليم الشرير الذي لنسطوريوس وقد أدان معه المبتدعين الآخرين الذين قد يأتون بعده (أنظر فقرة 7).

وفي النهاية يصل إلى أن إدانة الهرطقات في العصور اللاحقة، هي أيضاً مبنية على إتباع الآباء والتسليم الرسولي. وهذا ما فعله مع البدعة النسطورية غداً اعتمد على مبدأ التسليم في إدانتها. (أنظر فقرة 7).

د- في شرحه لقانون الإيمان أبرز النقاط التالية:

أولاً: بالنسبة للآب، يؤكد وحدانية الله بحسب تعليم الكنيسة المقدسة وهو يقصد بذلك هدم ضلالة تعدد الآلهة فيتحدث عن تفرد الله بالطبيعة وبالحق ويشير إلى أن لقب الآب يتضمن وجود الابن معه كما يتحدث عن الآب كخالق يختلف عن الخليفة.

ثانياً: بالنسبة للابن "الرب يسوع المسيح"، يتحدث عن:

1- ولادته من جوهر الآب: فالمسيح مولود من جوهر الله الآب بطريقة تفوق الإدراك خلواً من زمن، وولادته مثل ولادة النور من النور، وهو في الآب بحسب الطبيعة وتطابقها (فقرات 14، 15، 16).

الابن الخالق: فالله الآب لا يخلق أي شيء بأية طريقة سوى بالابن في الروح (فقرة 17).

3- تجسد الابن وتأنسه: فالابن نزل من سموه وأخذ جسداً بنفس عاقلة ومع ذلك فقد بقي إلهاً، ولم يتخل عن ما كان عليه، بل ظل محتفظاً بملء ألوهيته في إخلائه ليكون مثلنا، وجعل ما يخص الجسد خاصاً به، لأن الجسد لم يكن جسد شخص آخر غيره بل بالحري جسده متحداً به بطريقة تفوق

الوصف والتعبير. وهو لما صار جسداً لم يتغير إلى طبيعة الجسد بانتقال أو تحول أو تغيير، ولا تعرّض لاختلاط أو إمتزاج في الجوهر. وهو نفسه الله صار إنساناً، الإله والإنسان معاً، ولا يقسم إلى اثنين، كما يعتقد الذين يقولون إن الكلمة اتصل بإنسان وأعطاه نصيباً في رتبة البنوة. فالمسيح لم يصّر إلهاً بعد أن كان إنساناً، بل إذ كان الكلمة هو الله، فإنه صار إنساناً (فقرة 21-24).

4- آلام المسيح وموته: فذاك الذي هو غير قابل للتألم كإله، تألم في جسده الخاص إنسانياً، وجعل الجسد القابل للموت خاصاً به (فقرة 33، 34). ويضيف إلى كلامه عن آلام المسيح وموته، الإقرار برب واحد وإيمان واحد ومعمودية واحدة (فقرة 35).

5- جسد المسيح والإفخارستيا: يقول إننا في موت ذاك الذي تألم إنسانياً في جسده وظل حياً على الدوام لأنه هو الحياة... لذلك فجسد المسيح ودمه المقدسان هما يعطيان الحياة (فقرة 38، 39).

ثالثاً: بالنسبة للروح القدس: يشير إلى أن الروح القدس هو من نفس الجوهر مع الآب والابن، وهو ينبثق من ينبوع الله الآب ويُمنح للخليقة بواسطة الابن (فقرة 40).

وقد تمت ترجمة رسائل هذا الجزء من اللغة اليونانية عن مجاد رقم 77 من مجموعة الآباء باليونانية (ميني 77 Migne P.G)، فيما عدا رسائل أرقام 73، 71، 68، 66، 65، 64، 62، 61، 60، 52، 51؛ التي لم تصلنا أصولها اليونانية ولكنها باللغة اللاتينية وقد وجدناها مترجمة إلى الإنجليزية في كتاب:

The FaThers of The Church Vol.77,

St.Cyril of Alexandria,

Translated by John I.McEnerney,

The Catholic University of America Press

Washington D.C,1987

كما تمت مقابلة الرسائل الموجودة باليونانية بالترجمة الإنجليزية المذكورة أعلاه.

ملحوظة هامة:

تبلغ جملة رسائل القديس كيرلس المنشورة في المجلد رقم 77 من مجموعة ميني P.G Migne اليونانية 88 رسالة

ترجمنا منها 75 رسالة في الأجزاء الأربعة التي تكتمل بصدور هذا الجزء الرابع.

أما بقية الرسائل الثلاث عشر فيإطلاعنا عليها وجدنا أنها لا تضيف جديداً في فكر القديس كيرلس اللاهوتي، وما ورد فيها ما إشارات لاهوتية متفرقة قد سبق أن استوفاهما القديس كيرلس بشكل مفصل في رسائله السابقة وفي الأجزاء المترجمة من شرح الإنجيل للقديس يوحنا. فضلاً عن أن بعض هذه الرسائل ليست للقديس كيرلس. فالرسالة رقم 80 المنسوبة للقديس كيرلس هي للقديس باسيليوس الكبير، وهناك الرسائل الثلاث 86، 87، 88 منحوالة على القديس وأثبت العلماء عدم صحة نسبتها إليه.

أما الرسالة 83 فيعالج فيها القديس كيرلس التصورات الخاطئة عند رهبان أرسينوي (الفيوم) القائلين بأن اللاهوت له هيئة بشرية.

ولإلهنا الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس المجد والتسبيح والسجود الآن وإلى الأبد. آمين،

15 مايو 1997م 7 بشنس 1713ش

تذكار نياحة القديس أناسيوس الرسولي.

المترجمان د.موريس تاووضروس د.نصحي عبد الشهيد

رسالة 55

شرح قانون الإيمان

رسالة من كيرلس حول قانون الإيمان المقدس

1- كيرلس يهدي تحياته في الرب المحبوبين والمشتاق إليهم جداً أنسطاسيوس، ألكسندوس، مارتينوس، يوحنا، باريجوريوس القس، مكسيموس الشماس، وإلى الآباء الرهبان الأرثوذكس الباقين، وإلى الذين يعيشون معكم الحياة التوحيدية المتأسسين في إيمان الله.

مقدمة عن قانون إيمان مجمع نيقية (2):

يمكنني الآن أمدحكم مدحاً ليس على حُكمم للتعلّم وحب التعب الذي لمحببتكم، وأعتبر أنه جدير بكل تقدير. فمن لا يتهج كثيراً بسبب شوقكم للدروس الإلهية وحب الإشتراك في التعاليم المقدسة الكلية الإستقامة؟ هذا يساعدنا لنصل إلى حياة أبدية ومغبوة، فالغيرة هي هذه الأمور ليست بدون مكافأة.

+ أهمية الإيمان الصحيح:

2- لأن ربنا يسوع المسيح يقول - في موضع ما - لله أبيه في السماء: "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسع المسيح الذي أرسلته" (يو 17 : 3). لأن الإيمان الصحيح والذي لا يُسخر به بسبب ما له من بهجة مع الأعمال الصالحة، فهو يملؤنا بكل صلاح أولئك الذين قد حصلوا على مجد متميز. وإن كان بهاء أعمالنا يبدو أنه لا يرتبط بتعاليم الصحيحة والإيمان الذي بلا لوم، فإنها (هذه الأعمال) لن تنفع نفس الإنسان بحسب رأيي. فكما أن "الإيمان بدون أعمال ميت" (يع 2 : 20)، هكذا أيضاً نحن نقول العكس صحيح. لذلك فليقتن الإيمان الذي بلا عيب ويشرق مع أبحاد الحياة المستقيمة. بذلك نصير كاملين بحسب ناموس موسى الحكيم جداً الذي يقول: "وتكون كاملاً أمام الرب" (تث 18 : 13).

3- وأولئك الذين بسبب الجهل قد قللوا من قيمة إمتلاك الإيمان المستقيم ممجدين حياتهم بسبب

(2) النعواين الجانبية من وضع المترجمين

أعمال الفضائل، يشبهون أناساً ذوي ملامح حسنة في وجوههم ولكن نظرة عيونهم مصابة بتشويه وحول. وينطبق عليهم قول الله بصوت إرميا إلى أم اليهود وأعني أورشليم: "لأن عينيك ليست مستقيمة وقلبك ليس صالحاً" (أنظر إر22 : 17). لذلك فمن الضروري قبل كل شيء آخر أن يكون لكم ذهن سليم في داخلكم وأن تهتموا بالأسفار المقدسة التي تخاطبكم قائلة: "لتنظر عيناك بإستقامة" (أم4 : 25س). فالنظر الصحيح للعيون الخفية الداخلية هو أن يكون قادراً. على النظر إلى جميع النواحي بوضوح ودقة، بقدر ما هو ممكن فيما يختص بالكلمات التي يُقال عن الله. "لأننا ننظر في مرآة في لغز ونعرف بعض المعرفة" (انظر 1كو13 : 12)، ولكن الذي يكشف أعماق الظلام (انظر أي12 : 22)، ويرسل نور الحق إلى أولئك الذين يرغبون في أن يحصلوا على معرفة سليمة عنه. فمن الضروري إذن أن نطرح أمام الله قائلين: "أتر عيني لئلا أنام نوم الموت" (مز12 : 4س)، لأن الإبتعاد عن إستقامة التعاليم المقدسة، من الواضح أنه لن يكون شيئاً آخر سوى أن ننام نوم الموت. ونحن نسقط مبتعدين عن هذه الإستقامة حينما لا نتبع الكتب الإلهية الموحى بها، إما بسبب أفكار خاطئة غير ممدوحة أو بسبب تعصبنا للبعض الذين لا يسلكون بإستقامة من جهة الإيمان. ونحن نغلب بسبب أننا نتبعهم في ميولهم الذهنية، وفوق كل شيء آخر فإننا نؤذي أنفسنا.

4- لذلك ينبغي أن نصدق أولئك الذين يهتمون بالإستقامة في التفكير من جهة الكرامة المقدسة، والتي سلمها إلينا بالروح القدس أولئك الذين كانوا من البدء معانين وخداماً للكلمة (انظر لو1 : 2)، والذين كان أبائنا الممجدون جداً يتبعون آثار خطواتهم بغيرة، هؤلاء (الآباء) الذين إجتمعوا في نيقيا في ذلك الوقت وحددوا إعتراف الإيمان المكرم المسكوبي، والمسيح نفسه كان جالساً معهم في المجمع لأنه يقول "حيثما إجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمي فهناك أكون في وسطهم" (مت18 : 20).

5- كيف يكون هناك شك في أن المسيح كان يرأس ذلك المجمع المقدس العظيم بطريقة غير منظورة. فهناك قاعدة معينة، وأساس لا يتزعزع ولا يهتز لكل الذين على وجه الأرض، كان هذا الأساس يلقي به بعيداً أو بالحري يُقضى عليه، وأعني إعتراف الإيمان النقي والذي بلا لوم. وإذن فكيف لا يكون المسيح حاضراً إن كان هو نفسه الأساس بحسب قول بولس الحكيم جداً: "فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح" (1كو3 : 11).

6- لذلك فالآباء القديسون الذين جاءوا بعدها بدون نقص، ونحن لا نرى في إعترافات وشرح الآباء - أي شيء مهما كان - محدوفاً أو مهملاً مما هو ضروري لمنفعتنا، لأنهم صاغوها من جهة الإيمان المستقيم والذي بلا غش لأجل دحض وهدم كل بدعة وكل ثثرة غير مقدسة، ولأجل مساندة وتأمين أولئك الذين يسرون بإستقامة من جهة الإيمان هؤلاء قد أشرق عليهم المصباح الحامل للنور "وأنفجر

النهار" (2بط 1 : 19)، وهو النعمة التي بواسطة المعمودية المقدسة.

دوافع شرح القانون:

7- ولأن وقاركم قد كتبتم أن البعض يحرفون كلمات قانون الإيمان إلى غير معناها - إما بسبب أنهم لا يفهمون معنى (قوة) الكلمات التي فيه، فهماً واضحاً أو لأنهم محمولون إلى تفكير مرفوض بميلهم نحو كتابات بعض الأشخاص، لذلك فكرت أنه من الضروري بالنسبة لأي أيضاً أن أوجه كلماتي إليكم في هذه الأمور وأفسر معنى قانون الإيمان وأوضح باختصار الأفكار التي تأتي إلى ذهني.

إتباع الآباء:

نحن نتبع من وجه إعترافات الآباء القديسين وتعاليمهم ونحن نُثبت بإستقامة وبدون إنحراف ما قالوه. وإن المجمع المقدس الذي إجتمع في أفسس بحسب مشيئة الله، حينما أصدر قراراً مقدساً ودقيقاً ضد التعليم الشرير الذي لنسطوريوس، فإنه أدان معه ووضع عقاباً معادلاً على انتداعات الآخرين الباطلة (انظر 1 تي 6 : 20) الذين قد يأتون بعده، أو ربما كانوا موجودين قبله، وذلك لأن لهم حيث إن إنساناً واحداً قد أُدين مرة بسبب مثل هذه الإنتاعات الباطلة، فهذه الإدانة ينبغي أن تصير ليس فقط ضد إنسان واحد بل ضد كل هرطقتهم أي الإفتراء الذي صاغوه ضد العقائد المقدسة التي للكنيسة بمناداتهم بإبنين، مُقسّمين الذي لا ينقسم، ومُسجلين (على أنفسهم) أمام السماء والأرض، تحمة عبادة الإنسان.

8- فجمهور الأرواح العلوية المقدس يسجد معنا للرب الواحد يسوع المسيح. ولكي لا يكون مجهولاً عند البعض معنى قانون الإيمان الذي ساد وكرز به في جميع كنائس الله المقدسة، فإني وضعت التعاليم، أي بيانات الآباء القديسين، في التفاسير الموجودة هناك، لكي يعرف أولئك الذين يقرأونها ما هي الطريقة الصحيحة لفهم عرض الآباء القديسين الذي هو القانون النقي للإيمان الصحيح. وأظن أن محبتكم أيضاً قرأتم الكتاب الذي كتبناه معاً عن هذه الأمور. فبعد أن أضع أمامكم الآن كما قلت القانون نفسه كلمة كلمة، فإني يانتقل بمعونة الله إلى تفسير واضح لكل ما يحويه النص، لأني أعلم أن بطرس المجيد جداً قد كتب: "مستعدين دائماً لمحاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم" (1بط 3 : 15).

نص قانون الإيمان في نيقية

9- [نؤمن بإله واحد الآب ضابط الكل، خالق الكل ما يرى وما لا يرى].

وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب أي من جوهره. إله من إله، نور من

نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، من نفس الجوهر الذي الآب، الذي به خُلقت كل الأشياء التي في السماء وعلى الأرض. الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل، وتجسد، وتأنس، وتأم، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السموات، وسيأتي لكي يدين الأحياء والأموات.

وبالروح القدس.

10- أما الذين يقولون إنه "هناك وقت لم يكن فيه موجوداً، وإنه لم يكن قبل أن يولد، وإنه خُلِق من العدم، أو يزعمون أنه من أفتنوم أو جوهر آخر، أو أن ابن الله متغير أو متحول"، فهؤلاء تحرمهم الكنيسة الجامعة الرسولية].

شرح قانون الإيمان

الإيمان بوحداية الله:

11- قال الآباء إنهم يؤمنون بإله واحد، لأنهم كما لو كانوا يهدمون آراء اليونانيين⁽³⁾ من أساساتها: "وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء. وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات" (رو 1 : 22، 23). "وعبدوا المخلوق دون الخالق" (رو 1 : 25). وصاروا عبيداً لأركان العالم ظانين أنها آلهة كثيرة بلا عدد. لذلك فلكي يهدموا ضلالة تعدد الآلهة قال الآباء بإله واحد تابعين الكتب المقدسة من كل جهة ومظهرين جمال الحق لكل إنسان يُسمى تحت الشمس. وهذا ما فعله موسى الحكيم جداً أيضاً قائلاً بكل وضوح "اسمع يا إسرائيل الرب إلهك رب واحد" (تث 6 : 4). وأيضاً خالق الكل وربهم يقول في موضع آخر "لا يكون لك آلهة أخرى أمامي" (خر 20 : 3). وأيضاً يتكلم بصوت الأنبياء القديسين: "أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري" (إش 44 : 6). لذلك فالآباء الممجدون جداً فعلوا أمراً ممتازاً إذ وضعوا قاعدة للإيمان بضرورة أن نفكر ونقول إن الله واحد متفرد بالطبيعة وبالحق، ومن ثم أنهم يؤمنون بإله واحد.

الله الآب:

12- وأيضاً لقبوه بالآب ضابط الكل لكي بذكرهم الآب يظهر الابن معه الذي هو أب (وهو أي الابن) قائم معه وكائن معه دائماً. لأن الآب لم يصر أباً في زمن، بل كان دائماً ما كانه أباً. وهو كائن دائماً فوق كل ما هو مخلوق وهو في أعلى الأعالي. ولأنه يضبط ويسود رباً على الكل فهذا يجعل له

(3) يقصد الأعميين أو الوثنيين.

مجداً لامعاً لا يُقارن.

الله الخالق:

13- وأيضاً يؤكد الآباء أنه خلق كل الأشياء التي في السموات والتي على الأرض وهكذا يكون اختلافه عن كل الخليقة أمراً معروفاً. لأنه لا يمكن المقارنة بين الخالق والمخلوق، ولا بين غير الحادث والحادث⁽⁴⁾، ولا بين الطبيعة الخاضعة لنير العبودية والطبيعة المزدانة بكرامات السيادة والمالكة لمجد إلهي لا يوصف وأعلى من مجد العالم.

يسوع المسيح الابن، إله من إله:

14- ولكن عندما تكلموا عن الابن، ولكي لا يظهر أنهم ينسبون إليه اسماً مشتركاً مثل الاسم الذي يمكن أن يُنسب إلينا نحن أنفسنا - لأننا نحن ندعى أيضاً أبناء (غلا 4 : 6) - فبكل فطنة وصفوه بتلك الأسماء التي بواسطتها يمكن أن يُدرك لمعان المجد الطبيعي الذي فيه، والذي هو أعلا من الخليقة. لأنهم قالوا إنه "مولود غير مخلوق" مدركين أنه من جهة الجوهر لا يُصنّف مع المخلوقات، بل بالحرى أكدوا بيقين أنه مولود من جوهر الله الآب خلّوا من زمن وبطريقة تفوق الإدراك لأنه "في البدء كان الكلمة" (يو 1 : 1).

ثم حينما يذكرون حقيقة الولادة بطريقة جيدة جداً (لنشرح هذه الحقيقة على مستوى إنساني لأجل المنفعة)، فإنهم يقولون إن الله الابن مولود من الله. لأنه حيثما تكون ولادة حقيقية فيلزم من جهة تبعاً لذلك، أن نفكر وأن نقول إن المولود ليس من جوهر آخر غير جوهر الوالد بل من هو من نفس جوهر الذي ولده لأنه يناسب ويلائم منطقياً كونه من هذا الجوهر.

15- فغير الجسداني لا يلد بحسب الجسد بل بالحرى بهذه الطريقة، أعني مثل (ولادة) النور من النور، حتى أن النور الذي أشع يُعرف أنه في النور الذي أومض، وأنه منه بحسب الصدور الذي لا يُنطق به ولا يُعبّر عنه وأنه فيه بحسب وحدة الطبيعة وتطابقها. وهكذا نحن نقول: إن الابن في الآب، والآب في الابن. فالابن يرسم في طبيعته الخاصة ومجده، ذلك الذي ولده. وقد قال بوضوح لواحد من تلاميذه القديسين وهو فيلبس "ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيّ". الذي رأي فقد رأى الآب" يو 14 : 9، 10. وقال أيضاً "أنا والآب واحد" (يو 10 : 30). وتبعاً لذلك فهو من نفس الجوهر مع الآب. وهكذا أيضاً فإننا نؤمن أنه إله حق وُلد من إله حق.

(4) أي بين الذي ليس له بداية والذي له بداية.

16- وإننا سنجد أن اسم الولادة يُطلق أيضاً على المخلوقات وأعني ما قاله الله عن الذين من دم إسرائيل: "ولدتُ بنين ونشأتهم.." (إش 1 : 2س). إلا أن الخليقة تكتسب هذه الدعوة في نظام النعمة. أما في حالة الذي هو ابنه بالطبيعة فإن هذا الاسم (الولادة) لا يُستعمل على سبيل المجاز، بل هو حقيقي من كل جهة. وبسبب هذا فهو وحده بين الكل الذي قال "أنا هو الحق" (يو 14 : 6). وهكذا فإن كل أحد يستعمل اسم الولادة والبنوة عنه فإنه لا يتكلم بالكذب مُطلقاً لأن هذا هو الحق. وتبعاً لذلك فكل معلمي أسرار الإيمان القديسين يحمون نفوسنا بكلامهم في كل مكان عن الآب والابن وعن الولادة، ويقولهم إله حق من إله حق، وإن النور ينبعث من النور وعن الولادة تكون غير جسمانية وبسيطة وتُفهم على أنها منه وفيه، وأن كلاهما موجود بشخصه الخاص. لأن الآب هو آب وليس ابناً والابن هو المولود وليس هو آباءً. وكل منهما يكون ما كان عليه ⁽⁵⁾، ولهما في وحدتهما نفس الطبيعة.

الابن الخالق:

17- ولكنهم بعد أن أكدوا أن الآب هو خالق كل الأشياء، ما يُرى وما لا يُرى، فإنهم قالوا إن كل الأشياء قد خلقت بالابن، لا بسبب أنهم نسبوا لابن نصيباً أقل من المجد، حاشاً، لأنه كيف يمكن أن يُرى ما هو أقل أو أكثر في وحدة الجوهر؟ ولكنهم يقولون إن الله الآب بطبيعته لا يخلق أو يدعو أي شيء إلى الوجود بأي طريقة أخرى سوى بالابن في الروح أي بقوته الذاتية وحكمته لأنه مكتوب "بكلمة الرب تأسست السموات وبنسمة فيه جندها" (مز 32 : 6س). ويوحنا الحكيم جداً بتأكيد بالقول "في البدء كان الكلمة والكلمة كان نحو الله وكان الكلمة الله" (يو 1 : 1)، يضيف بالضرورة "ك شيء به صار وبغيره لم يصير شيء مما صار" (يو 1 : 3).

التجسد والتأنس:

18- وتبعاً لذلك فبعد أن أثبت الآباء أن الابن من نفس الجوهر مع الآب ومساوٍ له في المجد وفي العمل، كان من المفيد أن يذكرونا بتأنسه. وأعلنوا سر التدبير بالجسد محددين بصواب تام أن تقليد (تسليم) الإيمان سيكون بسبب هذا كاملاً وكافياً في ذاته. فليس كافياً للذين يؤمنون به أن يوقنوا ويفكروا أن الإله ولد من الله الآب وهو من نفس الجوهر معه ورسم أقنومه (عب 1 : 3). بل كان من الضروري أن يعرفوا بالاضافة إلى ذلك أنه تنازل مخلياً نفسه من أجل خلاص الكل وحياتهم، وأخذ صورة عبد وجاء إنساناً مولوداً من امرأة" (غلا 4 : 4) بحسب الجسد.

(5) أي الآب آب والابن ابن.

19- ويسبب هذا قالوا ، "الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنس". لاحظوا كيف تصوير هذه العبارة بنظام وترتيب مناسب جداً. وقد قالوا إنه نزل لكي نعرف بهذا أنّ الرب هو فوق الكل بالطبيعة والمجد، وأيضاً نزل من أجلنا، وأنا أعني أنه كانت له الرغبة أن يأتي إلى مشابھتنا ويضيء على العالم بالجسد لأنه مكتوب في سفر المزامير "سيأتي الله إلهنا ظاهراً ولن يصمت" (مز49 : 3س).

20- ولكن يمكن لمن يريد أن يفسر نزوله بصورة أخرى، أي كنزول من السماء أو من فوق أو من أبيه، فمن عادة الكتب المقدسة أن توضح ما يعلو على أفكارنا بكلمات مناسبة لنا، ولذلك قال الرب حينما كان يتحدث مع تلاميذه القديسين : "خرجت من الآب وأتيت وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب" (يو16 : 28)، وأيضاً "أنتم من أسفل. أما أنا فمن فوق" (يو8 : 23). وبالإضافة إلى ذلك "خرجت من الآب وأتيت" (يو8 : 42). ويوحنا الموحى إليه من الله يكتب "الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع" (يو3 : 31). ورغم أنه كائن في أعلا الأعالي وهو بحسب الجوهر فوق الكل مع أبيه إذ أنه متوج معه أخلى نفسه أخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه" (في2 : 8-6).

21- لأن الكلمة الذي هو الله أخذ جسداً ومع ذلك فقد بقي إلهاً ولهذا السبب يقول بولس المقدس جداً أنه صار في شبه الناس ووُجد في الهيئة كإنسان، لأنه كان الله - كما قلت - في شكلنا البشري ممثالاً لنا، ولم يأخذ جسداً بلا نفس كما يظن بعض الهرطقة بل بالحري جداً تحييه نفس عاقلة. لذلك قال الآباء إن الكلمة الذي خرج من جوهر الآب، الابن الوحيد الجنس، الإله الحق من الإله الحق، النور من النور، الذي به خُلقت كل الأشياء، نزل وتجسد وتأنس، أي أنه احتمل الولادة بحسب الجسد من امرأة وجاء في شكلنا، وهذا هو معنى أنه تأنس.

22- لذلك يوجد رب واحد يسوع المسيح هو بذاته الكلمة الوحيد الجنس للآب، الذي صار إنساناً وهو لم يتخلّ عن ما كان عليه لأنه بقي إلهاً في بشريته، والسيد في صورة عبد، محتفظاً بملء ألوهيته في إخلائه ليكون مثلنا. وهو رب القوة في ضعف الجسد، وفي قياس (قامة) بشريته كان يملك ما هو فوق كل الخليقة خاصاً به. لأن ما كان عليه قبل الجسد كان خاصاً به ولا يمكن أن يُفقد، لأنه كان إلهاً، وهو الابن الحقيقي، والوحيد الجنس، النور، والحياة، والقوة، أما ما لم يكن عليه فإنه يُرى أنه كان أخذه مضافاً من أخل التدبير (التجسد)، لأنه جعل ما يخص الجسد خاصاً به، لأن الجسد لم يكن جسد شخص آخر غيره بل بالحري جسده متحداً به بطريقة تفوق الوصف والتعبير. ولذلك يقول يوحنا الحكيم : "الكلمة صار جسداً" (يو1 : 14). وهو صار جسداً لا لأنه تغير إلى طبيعة الجسد بانتقال أو تحول أو تغير، ولا لأنه تعرض لاختلاط أو إمتزاج في الجواهر كما يثرثر بعض الناس، لأن هذا مستحيل، إذ هو

بالطبيعة غير متغير ولا متحول كما قلت، بل بالحري أخذ جسداً تحييه نفس عاقلة من جسدٍ عذراوي غير دنس، وجعله جسده الخاص.

23- ولكنه من عادة الكتاب الموحى به أن يشير إلى الإنسان كله بكلمة "جسد" فقط لأنه يقول "سأسكب من روحي على كل جسد" (يو2 : 28س). فإن الله لم يُعط وعداً بأنه سيرسل روحه على جسد بدون نفس عاقلة تحييه، بل بالحري إلى الإنسان المركب من نفس وجسد. لذلك صار الكلمة إنساناً دون أن يكف عن أن يكون ما كان عليه، ولكنه بقي هو الكلمة حتى حينما ظهر في شكلنا.

24- فالمسيح لم يُعرف أنه إنسان أولاً وبعد ذلك تقدم ليصير إلهاً، بل إن الكلمة، إذ هو الله، صار إنساناً، لكي في نفس الكيان يُعرف هو نفسه الإله والإنسان معاً. إلا أن أولئك الذين يقسمونه إلى ابنين ويجسرون أن يقولوا إن الله الكلمة اتصل بالإنسان الذي من نسل داود وأعطاه نصيباً في استحقاق وفي كرامة وفي رتبة البنوة، وأعدده ليتحمل الصليب، وليموت، ويقوم ثانية، ويصعد إلى السماء، ويجلس عن يمين الآب، لكي يُعَد من كل الخليقة، وينال الكرامات بواسطة إرتباطه بالله. هؤلاء أولاً يكرزون بابنين، وثانياً يجهل يقبلون معنى السر. لأنه، كما قلت، إن المسيح لم يصير إلهاً من إنسان بل إذ كان الكلمة هو الله فإنه صار جسداً أي إنساناً.

25- وقيل عنه إنه أخلى نفسه، حيث إنه قبل الإحلاء كان له الملء بطبيعته الخاصة، كما هو معروف أنه إله. فهو لم يرتفع إلى الملء كواحد من الخليقة التي كانت فارغة بل بالحري وضع نفسه من الأعالي الإلهية ومن المجد الذي لا يُنطق به، وهو لم يكن إنساناً متواضعاً ثم رُفِعَ بتمجيده. بل هو الحر إذ كان في صورة الآب ومساوياً له صار في شبه الناس. ولم يكن إنساناً إغتنى باشتراكه في مشابهة الله. فلماذا إذن يقبلون كلام التدبير ويزيفون الحقيقة ويحاربون جميع الكتب الموحى بها التي تعترف أنه هو الله، وبعد أن صار الابن إنساناً تسميه في كل موضع، الابن الوحيد؟

26- ولذلك كتب موسى في سفر التكوين، أن يعقوب الإلهي أرسل أولاده عبر مخاضة (يَبُوق) وبقي هو وحده وصارعه إنسان حتى مطلع الفجر. ودعا يعقوب اسم ذلك المكان "مرأى الله" لأنه قال رأيت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي "وأشرق له الشمس إذ عبر "مرأى الله" وكان يعرج من فخذته" (تك32: 31-32). بواسطة البطريك (يعقوب) سبق الله فأخبر أن كلمته الوحيد الجنس سوف صير إنساناً في الوقت المعين وأن إسرائيل سوف يقاومه، ولن يتصرف الإسرائيليون بإستقامة من جهته ولكنه كما لو سيكون أعرجاً كما يقول الله في نغم المزمور: "الأبناء الغرباء كذبوا عليّ الأبناء الغرباء قد شاخوا وخرجوا من طرقهم يعرجون" (مز17 : 45-46س). وأظن أن هذا هو معنى أن يعقوب كان يعرج من فخذته. ولكن لاحظوا هذا: فرغم أن إنساناً كان يصارع معه، فقد قال إنه رأى الله وجهاً لوجه ودعا (ما

رأه) "مرأي الله".

27- لأن الابن بقى (كما هو) كلمة الله رغم أنه صار إنساناً، لكونه في هيئة الآب أعني بحسب صورته العقلية، ولكونه (أيضاً) غير قابل للتغير على الإطلاق. لذلك قال لفيلبس مُظهراً نفسه أنه "رسم أقتوم" الآب (أنظر عب 1 : 3) وهو في الجسد (بقوله) : "من رأي فقد رأى الآب" (يو 14 : 9). ولكن حينما شفى الرجل الأعمى منذ ولادته، ولما وجده قال له "أتؤمن بآب الله" فأجاب وقال "من هو يا سيد لأؤمن به؟ فقال له يسوع "قد رأيته والذي يتكلم معك هو هو" (يو 9 : 35-38). فالرجل الأعمى لو يره غير محبوب أي بدون الجسد بل بالحري في الهيئة مثلنا. وآمن بذلك الذي رآه لا كآب متصل بآب آخر بل (آمن) بمن هو حقاً بالطبيعة ليس بدون جسد، وهو الذي أشرق بنوره (الناس) الذين على الأرض.

ويقول موسى الموحى إليه من الله في كلمات البركة "أعطوا للآب إعلاناً (تيممه) ⁽⁶⁾ وللرجل القديس حقيقته (أوريمه) () الذي جربوه في التجربة (مسة) ⁽⁷⁾ وخاصموه على ماء الإسقاط (مريية) ⁽⁸⁾. وقال لأبيه ولأمه "أنا لم أبصركما"، ولم يعترف بإخوته" (أنظر تث 33 : 8، 9س).

28- لأن إله الكل قد رتب ثوباً حتى القدمين لهارون، منسوجاً بدقة، وكان هذا الثوب لرئاسة الكهنوت فقط وخاصاً بها. وعلى صدره رئيس الكهنة عُلقت حجارة مُعينة عددها اثنا عشر حجراً، وفي وسطها وُضع حجران آخران هما : الإعلان (تيمم) والحقيقة (أوريم). وبواسطة لغز هذه الحجارة توجد إشارة واضحة إلى خورس الرسل القديسين كما لو كانوا في دائرة حول عمانوئيل الذي هو "الإعلان"، "والحقيقة"، لأنه أعلن الحقيقة بأن أبطل عبادة الله من خلال الظلال والأمثلة وكيف يمكن أن يكون هناك شك أن كلمة الله الوحيد الجنس قد صار رئيس كهنتنا عندما صار إنساناً، لأن بولس الموحى له من الله كتب كما يلي : "لاحظوا رسول ورئيس كهنة إعترافنا، يسوع، حال كونه أميناً للذي أقامه" (عب 3 : 1، 2)، لأن كرامة الكهنوت ستُعرف بصواب أنها ملائمة لمقاييس بشريته، وهي بالطبع، من ناحية أقل من طبيعة كلمة الله ومجده، ولكنها من ناحية أخرى تتفق مع تدبير الجسد، لأن الأمور البشرية قد صارت خاصة به. وتبعاً لذلك يقول : "أعطوا للآب - أي الكاهن - الإعلان والحقيقة" (انظر تث 33 : 8س). ولأية نوعية من لاوي - أي الكاهن - قال حينما ذكر بوضوح : "والرجل القدي حقيقته"، لأن ربنا يسوع

(6) "تيمم" كلمة عبرية تعني دلالة أو إعلان. "أوريم" كلمة عبرية تعني حقيقة.

(7) "مسة" كلمة عبرية تعني تجربة.

(8) "مريية" كلمة عبرية تعني إسقاط.

المسيح لم يفعل خطيئة؟ (انظر 1بط 2 : 22)، ولذلك يكتب بولس عنه : "لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات" (عب 7 : 26). لأنهم : "جربوه في التجربة وخاصموه على ماء الإسخاط (مربية)" (انظر تث 33 : 8).

29- يا للأمر العجيب! فهو يقول إنه إنسان ولكنه يعلن مباشرة أن الذي أسخطه إسرائيل وجربه في البرية على ماء الإسخاط، هو هو الله. ويشهد المرتنم قائلاً : "شق صخرة في البرية، وأعطاهم ليشربوا كأنه من لجج عظيمة وأخرج ماء من صخرة وأجرى مياهها كالأنهار" (مز 77 : 15، 16س). وماذا بعد هذا؟ يقول : "جربوه في قلوبهم" وأفتروا على الله قائلين : "هل يقدر أن يهييء مائدة في البرية، لأنه ضرب صخرة فجرت المياه وفاضت الأدوية؟، هل يقدر أيضاً أن يعطي خبزاً أو يهييء مائدة لشعبه؟" (مز 77 : 18-20س). لذلك تدرك كيف تبجحوا على الله الذي يصنع المعجزات وهو الذي يقول موسى عنه إنه إنسان. وقد أدرك بولس الموحى إليه ذلك أيضاً فكتب : "وكانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح" (1كو 10 : 4).

لذلك فالإنسان الذي خاصموه، كان هو الذي جُرب من الذين هم من إسرائيل ولم يكن قد تجسد بعد. لأن موسى قد أكد بدليل آخر أن الذي كان قبل أن "يصير جسداً" لم يكن ابناً آخر، والذي من نسل داود لم يكن ابناً آخر غيره كما يتجاسر البعض أن يقولوا. ولكنه هو واحد وهو نفسه الكلمة الذي كان عارياً (من الجسد) قبل تجسده. وهو الذي تجسد وتأنس بالميلاد من العذراء القديسة كما كتب الآباء القديسون الملهمون من الله.

30- لأنه كما لو أن واحداً كان يسأل ويرعب أن يعرف عن أي إنسان كان يتكلم، والذي يقول عنه إنه قد جربه وخاصمه أولئك الذين من إسرائيل، وهو بمد يده يشير إلى يسوع ويقول : "الذي قال لأبيه ولأمه أنا لم أبصركما، ولم يعترف بإخوته" (تث 33 : 9). وهذا يذكرنا بما كتبه أحد البشيرين القديسين حينما كان المسيح يعلم ويرشد بعض الناس وجاءت أمه وإخوته وحينئذ ركض إليه واحد من التلاميذ وقال "أمك وإخوتك واقفون خارجاً ويريدون أن يروك" (لو 8 : 20). وهو بعد أن مد يده وأشار إلى تلاميذه قال : "أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها" (لو 8 : 21)، "لأن كل من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وإخوتي وأمي" (مت 12 : 50). وهذا ما اعتقد أنه هو نفسه ما قاله موسى : "الذي قال لأبيه ولأمه أنا لم أبصركما، ولم يعترف بإخوته". ودانيال الحكيم جداً ويقول أيضاً إنه رأى كلمة الله الوحيد الجنس في هيئتنا لأنه يقول إنه قد رأى القديس الأيام جالساً على عرش وربوات وربوات وقوف قدامه وألوف ألوف يخدمونه. وبعد عبارات أضاف دانيال : "كنت أرى في رؤيا الليل مثل ابن إنسان آتياً على سحب السماء، وحينما جاء إلى القديس الأيام وقربوه قدامه أُعطى كرامة

وملكوتاً وسوف تتعبد له كل الأجناس والألسنة" (دا7 : 13، 14س).

أنظروا هنا عمانوئيل يرى بوضوح وجلاء صاعداً إلى الله الآب في السموات. لأن "سحابه أخذته" (أع1 : 9) ذلك الذي يقول عنه إنه ليس مجرد إنسان بل "مثل ابن إنسان". لأن الكلمة الذي صار في هيئتنا كان هو الله. وبهذا الفهم يقول بولس الحكيم إنه "صار في شبه الناس" (في2 : 7) وإنه "وجد في الهيئة كإنسان" (في2 : 8) وإنه للذين على الأرض "في شبه جسد الخطية" (رو8 : 3).

31- ولكن لو أنه كان إنسان وقد كُرم كإله بسبب إتصاله بالله، لكان النبي دانيال قد قال إنه رأى واحداً آتياً على السحب كما لو كان إلهاً أو كما لو كان ابن الله. ولكنه لم يقل هذا بل بالحري قال "مثل ابن إنسان" لذلك عرف أن الإبن هو إله وقد تأنس، أي أنه صار "في شبه الناس" كما قال بولس. ورغم أنه ظهر في الجسد، "جاء إلى القდسم الأيام" (انظر دا7 : 13، 14)، أي أنه صعد إلى عرش أبيه الأزلي "وأعطي الكرامة والملكوت، وسوف تتعبد له كل الأجناس والألسنة". وهذا هو نفس ما قاله هو : "أيها الآب مجدني بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يو17 : 5). وكون الله المتجسد يجلس معه (مع الله) وإنه مساوٍ لله الآب في المجد، ورغم أنه (جاء) بالجسد، فهو ابن واحد حتى حينما صار إنساناً، هذا ما يوضحه بولس الحكيم جداً حينما يكتب : "لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في الأعالي" (عب8 : 1). وفي الحقيقة، فإن ربنا يسوع المسيح نفسه، حينما سألته اليهود إن كان حقاً هو نفسه المسيح، أجاب : "إن قلت لكم لا تصدقون وإن سألت لا تجيبوني.. ومنذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله" (لو22 : 67-69). وهكذا أيضاً فإن خورس الأنبياء القديسين رأى الابن متأنساً على عرش الألوهية.

32- هلم بنا لنرى أيضاً كارزي العهد الجديد، الذين هم معلمو أسرار الإيمان لكل الذين تحت الشمس، والذين قال المسيح نفسه لهم : "لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" (مت10 : 20). ولذلك سوف نجد المعمدان الموحى له يقول : "يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي" (يو1 : 30) ولكن كيف يكون هو قبل المعمدان وهو قد جاء بعده؟ ألا يكون واضحاً للجميع أن المسيح كان بعد يوحنا بحسب زمن الجسد؟ لذلك، فبماذا يُجاب على هذه الأسئلة؟ لقد أعطانا المخلص الجواب عن ما نسأل عنه، لأنه قال حينما كان يتكلم إلى اليهود "الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يو8 : 58). لأنه كان إبراهيم من جهة ألوهيته ولكنه عُرف بعد إبراهيم حينما ظهر كإنسان. وحيث إن الله الآب أعلن بوضوح قائلاً : "مجدي سوف لا أعطيه لآخر" (إش42 : 8)، لأنه "ليس إله آخر غيره" (إش45 : 5) لذلك قال لنا المسيح : "عندما يأتي ابن الإنسان بمجد أبيه مع الملائكة القديسين" (مز8 : 38). وحيث إننا ننتظر نزول الإنسان من السماء، كما كتب أيضاً بولس الحكيم

جداً: "لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد إلهنا ومخلصنا العظيم يسوع المسيح: (تي 2 : 11-13). وفي موضع يقول حينما يتحدث عن أولئك الذين من دم إسرائيل: "الذين لهم المواعيد والإشترع والعهد، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد" (رو 9 : 5).

33- وتبعاً لذلك، إذ نفتني آثار إعتراف الآباء بدون إنحراف، ونقول إن كلمة الله الآب نفسه الذي هو الابن الوحيد المولود منه، تجسد، وتأنس، وتألم، ومات، وقام من بين الأموات في اليوم الثالث. وكلمة الله يُعترف به أنه غير قابل للألم من جهة طبيعته الخاصة. ولا أحد فقد صوابه فيظن أن الطبيعة التي هي فوق كل الأشياء يمكن أن تكون قابلة للألم. ولكنه بسبب أنه صار إنساناً وجعل الجسد الذي من العذراء القديسة خاصاً به، لهذا السبب فنحن نؤكد بثبات تابعين كلمات التدبير ان ذاك الذي هو غير قابل للتألم كإله، تألم في جسده الخاص إنسانياً. وإذ هو الله الذي صار إنساناً فهو لم يكف مطلقاً عن أن يكون إلهاً. وإن كان قد صار خليفة فهو أيضاً قد ظل فوق الخليفة. وإن كان هو واضع الناموس فقد صار تحت الناموس وظل مع ذلك واضع الناموس. وإن كان هو السيد حسب إلهيته فقد لبس "صورة عبد" (في 2 : 7) ومع ذلك فلا يزال له مقام السيد الذي لا يقبل الفقدان. وإن كان هو الابن الوحيد وقد صار "البكر بين إخوة كثيرين" (رو 8 : 30) فهو يظل مع ذلك الابن الوحيد. فما هي الغرابة إن كان رغم تألمه في الجسد بحسب إنسانيته فهو يُعرف أنه غير متألم بحسب ألوهيته؟ وهذا ما يقوله بولس الحكيم جداً، إن الكلمة نفسه الذي هو "صورة الله" (في 2 : 6). ومساو لله الآب، "أطاع حتى الموت موت الصليب" (في 2 : 8).

34- وفي رسالة أخرى من رسائله يقول عنه: "الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليفة، فإن فيه خُلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلق، الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل" (كو 1 : 15-17). ويقول إنه رأس الكنيسة (كو 1 : 18)، وإنه "صار بداءة الراقيين" (1كو 15 : 20)، "والبكر من الأموات" (كو 1 : 18). ومع ذلك فكلمة الله الآب هو الحياة ومعطي الحياة، حيث إنه وُلِدَ من الحياة أي من ذلك الذي ولده. فكيف إذاً صار البكر من الأموات وبداءة الراقيين؟ فهو جعل الجسد القابل للموت خاصاً به. وكما يقول بولس الحكيم جداً فإنه "ذاق الموت لأجل كل واحد" (عب 2 : 9) في جسده الذي كان قادراً أن يتألم دون أن يكف هو عن أن يكون الحياة. لذلك حتى إن كان يُقال إنه تألم في جسده فهو لم يقبل الآلام في طبيعة ألوهيته، ولكن كما قلت على التو، قد قبلها في جسده الخاص

المتقبل للألم. وهكذا فإن إشعياء النبي المبارك، إذ عرف الله المتأنس المتألم بالجسد، يقول عنه "كخروف سيق إلى الذبح وكنعجة صامته أمام جازيها. في تواضعه رُفعت عنه الدينونة. من يخبر بجيله لأن حياته رُفعت من الأرض" (إش 53 : 7،8س).

35- ولكن إن كان هو إنساناً ما، وقد أعتبر ابناً على حدة متصلاً بالله - كما يدعي المدافعون عن العقائد المضادة للتقوى فكيف يكون من الصعب أن نجد إنساناً يستطيع أن يخبر بجيله؟ فقد ولد من نسل يسي وداود (إش 11 : 1). ولكن من هو الذي يستطيع أن يخبر بميلاد كلمة الله أي كيفية ميلاده؟ فإن "حياته رفعت من الأرض"، أي وجوده لأنه قد بذل حياته وليس وجوده⁽⁹⁾. فقد رُفع عالياً وصار فوق جميع الذين على الأرض (أنظر أف 4 : 8-10). لأن الكلام عن تلك الطبيعة الفائقة أمر يفوق الفهم وليس في متناول عقول البشر.

وأضيف أيضاً هذه الكلمات لما سبق وقلته "رب واحد، إيمان واحد، المعمودية واحدة" كما يقول بولس المقدس جداً (أف 4 : 5). لذلك إذ أ، هناك رب واحد وإيمان واحد ومعمودية واحدة، فمن هو الرب ومن هو ذاك الذي آمننا به واعتمدنا باسمه؟ ولكن ربما يقول أحد إنه من المناسب تماماً أن تتحقق الربوبية والإيمان الذي لنا، والمعمودية المخلصة؛ في الكلمة الذي هو من الله الآب. ولهذا أوصى رسله القديسين قائلاً: "أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت 28 : 19،18).

36- وبولس الموحي إليه يوضح مجد ربوبيته والإعتراف بالإيمان وقوة المعمودية المقدسة بقوله "لا يقل في قلبك من يصعد إلى السماء أي ليحدر المسيح، أو من يهبط إلى الهاوية ليصعد المسيح من الأموات، ولكن ماذا يقول الكتاب؟ الكلمة القريبة منك، في فمك وفي قلبك.. لذلك إن أعرفت أن يسوع رب، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الموت، فسوف تخلص" (رو 10 : 6-9).

37- ويكتب أيضاً أليست تعلمون أننا كل من إعتد لیسوع المسيح، إعتدنا لموته" (رو 6 : 3). وها بولس يضع بوضوح ومهارة الإعتراف برؤية وبالإيمان ونعمة المعمودية المقدسة نفسها من ذاك الذي عانى الموت وقام من بين الأموات. إذن هل يا ترى نحن نؤمن بابنين؟ هل ننصرف عن الكلمة الذي أشرق من الله الآب وننسب مجد الربوبية والإعتراف بالإيمان نفسه ومعموديتنا السماوية إلى ابن آخر مختلف عنه، أي إلى الابن الذي تألم؟ ولكن التفكير والكلام بهذه الطريقة أليس هو حماقة أكيدة من ذلك هو كفر لا جدال فيه؟

(9) لعله يقصد أنه بذل حياته الجسدية بالموت وهذا لا يعني إنتهاء وجوده.

38- وإذاً ماذا نقول؟ "رب واحد بالحق، وإيمان واحد، ومعمودية واحدة" (أف 4 : 5). لأه ابن ورب واحد، وليس أن الكلمة أتخذ إنساناً بحسب الاتصال وأعلن انه شريك لكراماته الخاصة، ونقل إليه البنوة والربوبية، وكما يقول ويكتب بعض الذين يهذون. ولكن هو الكلمة الذي من الله، النور من النور، الذي تأنس وتجسد. ونحن نعتمد في تجاسر أن يهاجم جسد الحياة، وهكذا أيضاً أريد الفساد الذي فينا وضعف سلطان الموت نفسه، ولذلك يقول المسيح: "الحق الحق أقول لكم، إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس حياة فيكم" (يو 6 : 53).

الإفخارستيا تعطي الحياة:

39- لذلك فجسد المسيح ودمه المقدسان هما معطيان للحياة. وكما قلت فهذا الجسد ليس جسد إنسان ما يشترك في الحياة بل بالحري هو نفس جسد الحياة حسب الطبيعة. وبوضوح هو جسد الابن الوحيد.

إن خورس الآباء القديسين المحبين للمسيح يعتقدون معنا بهذه التعاليم كما يعتقد بها أيضاً ذلك الذي يزين الآن عرش كنيسة القسطنطينية المقدسة، أخونا المقدس جداً والمتقي لله جداداً والشريك معنا الأسقف بروكلس. لأنه هو نفسه كتب أيضاً لأساقفة الشرق المحبين لله جداً بهذه الكلمات الآتية: "والذي بلا شكل منظور تجسد بدون تغيير، والذي هو بلا بداية وُلد حسب الجسد، والذي هو كلي الكمال بالطبيعة ينمو في السن (لو 2 : 52) حسب الجسد، والذي يعلو فوق الآلام الجسدية في ذاك الذي صار إليه⁽¹⁰⁾. وتبعاً لذلك فالإيمان الرديء الذي لأولئك الذين يفكرون أو يكتبون أشياء مخالفة لهذا، يتبرهن من كل جهة أنه إيمان مريض بما هو دنس وغير متوافق مع تعاليم الحق.

الروح القدس:

40- وبعد أن أنهى الآباء المثلثو الغبطة كلامهم عن المسيح، فإنهم ذكروا الروح القدس لأنهم قالوا إنهم يؤمنون به كما يؤمنون - بداهة - بالآب والابن. لأنه من نفس الجوهر معهما، وهو ينسكب أي أنه ينبثق من ينبوع الله الآب ويُمنح للخلقة بواسطة الابن. لهذا نفخ في الرسل القديسين قائلاً: "اقبلوا الروح القدس" (يو 20 : 22). لذلك فالله الروح هو من الله وليس غريباً عن الجوهر الذي هو أعلا من الكل، بل هو من ذلك الجوهر وهو كائن وهو خاص به.

41- ولذلك فهذا هو إيمان الآباء القديسين القويم والثابت، أي إقرار الإيمان ولكن كما يقول

(10) يقصد أن المسيح احتمل الإهانات ليس في لاهوته (الذي كان عليه) بل قبل الآلام في جسده (الذي صار إليه) عندما تجسد.

بولس : "إله هذا الدهر أعمى أذهان غير المؤمنين لكي لا يضيئ لهم إنارة إنجيل مجد المسيح" (2كو4 : 4). وهكذا فالبعض بعد أن تركوا السير في طريق الحق المستقيم، اصطدموا بالصخور، "لأنهم لا يفهمون ما يقولونه، ولا ما يقرّرونه" (1تي1 : 7). لأنهم بعد أن ينسبوا مجد البنوة للكلمة المولود من الله الآب فقط، يقولون إن ابناً آخر الذي هو من نسل داود ويسى قد اتصل به وشارك في البنوة وفي الكرامة اللائقة بالله وفي حلول الكلمة نفسه وأنه يأخذ منه كل شيء، وأنه ليس له شيء خاص به إطلاقاً.

42- وأعتقد أن تلاميذ المخلص كتبوا بخصوص مثل هؤلاء هكذا : "دخل خلسة أناس كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة، فجّار يحولون نعمة إلها إلى الدعارة وينكرون السيد الوحيد والرب يسوع المسيح" (يهوذا 4). ولكن يسوع المسيح يجب أن يدعى بحق، الكلمة الذي ظهر في هيئة إنسان. إذن دع أولئك الخصوم، الذين بغياء كثير لا يتخلون عن التفكير والكلام بتعاليم نسطور وثيودور، أن يجيبوا على من يسألونهم هذا السؤال : "هل ترفضون التعليم بأن الذي من العذراء القديسة هو إله وهو الابن الحقيقي لله الآب لأنكم تنسبون الآلام له وحده ولا تعترفون به إنه كلمة الله لكي لا يقال أن الله قابل للتألم؟ لأن هذا هو ما إكتشفوه بإدعائهم التدقيق وهذه هي فظاظة أفكارهم. لذلك فلا ينبغي لهم أن يدعوا كلمة الله الآب - على حدة - بالمسيح. لأنه كما أن الآلام هي غريبة عنه حينما يُنظر إليه بدون الجسد، هكذا أيضاً المسحة هي أمر لا يليق به بل هي غريبة عنه لأن "الله مسح يسوع الناصري بالروح القدس" (أع10 : 38)، أما كلمة الله فهو كامل تماماً في ذاته ولا يحتاج للمسحة بالروح القدس. وهكذا إنكروا التدبير، وحولوا الابن الوحيد بعيداً عن محبته للعالم، ولا تدعونه بالمسيحاً لم يكن امراً صغيراً بالنسبة له أن يصير في القامة مثلنا. تبعاً لذلك فحيث إن أيضاً غير لائق به. فلا تدعوا أحداً أنه صار إنساناً، كي يقول لهم المسيح هو أيضاً "تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله" (مت22 : 29).

43- وتبعاً لذلك، فلنهرب من إبتدعاتهم الهدامة أولئك الذين دبوا أن يفكروا هكذا، لأننا نعتبرهم اعداء الحق. ودعونا بالحرري نتبع تعاليم الآباء القديسين وتسليم الرسل والإنجيليين القديسين. فالكلمة المتأنس نفسه قد تكلم فيهم، الذي به ومعه الله الآب، الكرامة والمجد والقوة مع الروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين.